٢٢

إرشاد المسلمين إلى المخارج من الفتن (١)

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس..

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[الأنعام:١٣٤] .

(١) تلقى هذه الخطبة في أيام الفتن.

فإن من علامات الساعة، كثرة الفتن وانتشارها، وكثرة القتل والهرج ، واختلاط أمور الناس، فالناظر إلى الفتن في هذه الأزمان يراها تموج كموج البحار، وهذه سُنَّة الله في أرضه ، ليبتلي بها عباده فقدر الفتن كونا ، لكنه حذر منها.

قال الله في كتابه الكريم: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت:١-٣] .

أي: ليتميز المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، والثابت من المذبذب، والصابر من المتسخط.

فيبلو الله الناس بعضهم ببعض ،ويسلط بعضهم على بعض، ويبتليهم بالفقر والأمراض، والحروب والمصائب، وتسلط الظلمة وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ۝٢٠﴾[الفرقان:٢٠].

والفتنة في اللغة:

تأتي على معانٍ كثيرة منها: الكفر والعذاب، والإحراق والحروب، وفتنة الملك والجاه والسلطان، وفتنة النساء وفتنة الدنيا والمال ، وفتنة الأولاد ،ومنها البدع والانحراف عن الدين ، ومنها الابتلاء والامتحان وغير ذلك.

فالواجب على العبد الابتعاد عن الفتن وأسبابها وأن يجعل بينه وبينها وقاية كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢٥﴾[الأنفال:٢٥].

فبيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن الفتن إذا حدثت فإنها تعم الناس كلهم، فيجب التحذير والحذر منها قبل وقوعها.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾:بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى هذه الفتنة: بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد. اهـ.

فإنه ما من نبي إلا وحذر أمته من الفتن وحذرنا نبينا ﷺ من الفتن، وبين أن الفتن في آخر هذه الأمة أكثر من أولها ، بينما كانت قليلة في أول هذه الأمة لفضلها.

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْه أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذه جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذه مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذه هَذه، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِه مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْه، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ** » .

ففي هذا الحديث دلالة من دلائل النبوة لحيث إن النبي ﷺ قد أخبرنا بأمور فوقعت كما أخبر عليه الصلاة والسلام ،فأخبر أن العافية في أول هذه الأمة، وأن البلاء والفتن في آخرها، وبين أن الفتن يسبب بعضها لبعض، ويمهد بعضها لبعض ، وما تأتي فتنة إلا كانت أشد من التي قبلها.

وفي الحديث إشارة إلى أن المؤمن الصادق يخاف على نفسه من الفتن فيبتعد عنها، وغير المؤمن لا يبالي بالفتن، فتجيئ الفتنة فيظن المؤمن أنه سيهلك فيها

فإذا ذهبت وجاءت الأخرى يقول أما هذه سأهلك فيها إلى غير ذلك.

فيا أيها الناس ؛ إن النبي ﷺ قد أخبر بوقوع الفتن قبل أربعة عشر قرنًا ، فرآها عيانًا فأخبر بوقوعها للتحذير منها.

ففي الصحيحين عن أُسَامَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أُطُم، مِنْ آطَام المَدِينَة، فَقَالَ: « **هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى، إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ**» أي: كمواقع المطر لكثرتها.

قال المهلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومعناه أن النبي ﷺ مثل له الفتن التي حدثت بعده فرآها عيانًا ، وأنذر بها عليه الصلاة والسلام قبل وقوعها، وهذه من علامات نبوته، فكانت الفتن بعده كالقطر. اهـ .

عباد الله : لست ذاكرًا في هذا المقام كل ما يتعلق بالفتن ، وحصولها، وأسبابها ، فهي كثيرة، ولكنني سأتطرق إلى أهم المخارج من الفتن، والوقاية منها، فأقول مستعينا بالله:

أهم المخارج من الفتن والوقاية منها هو تقوى الله تعالى:

وتقوى الله هو امتثال أوامره وأوامر رسوله ﷺ ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ .

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطلاق:٢-٣] .

وقوله: ﴿ مَخْرَجًا ﴾: نكرة في سياق الشرط يفيد العموم فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيجعل له عددًا من المخارج، مخارج من الفقر ومن الهموم ومن المصائب والأمراض، وأهمها المخرج من الفتن ، لكن هذا مقيد بقيد ومنوط بأمر ، وهو تقوى الله عَزَّوَجَلَّ ، فهو شرط لتحقق هذه المخارج فإذا حصل الشرط تحقق

المشروط لأن الفتن هي نتيجة الذنوب والمعاصي والبعد عن الله تعالى. فقد قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم:٤١].

وربما يكون ذلك عقوبة للناس كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٥].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر أنه ابتلاهم بالخير والشر فتنة لهم، فلم ينفع معهم ولم يرجعوا إلى ربهم فأخذهم العذاب، قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٤-٩٦].

ومن المخارج من الفتن يا عباد الله، الإقبال على العبادات، والذكر، والانشغال بالأعمال الصالحة.

فإن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية وربما بالفتن، وإذا كنت مع الله كان الله معك «**احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**»، وإذا ذكرت الله ذكرك، قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢]، فإن الجزاء

من جنس العمل.

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي...** » ، الحديث وفي رواية لمسلم: « **وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي** » .

فاشغل نفسك يا عبد الله بطاعة الله قبل أن تشغلك الفتن وسابق الفتن وبادرها بالأعمال الصالحة.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**» .

فإذا جاءت الفتن وزاد العبد إقبالا على مراضي ربه وانشغل بعبادته، كتب الله أجره أضعافًا مما لو كان في زمن العافية، لأن الناس مشغولون بالفتن وغافلون عن العبادات، وهو مشغول بعبادة ربه ومعرض عن الفتن، يدل هذا على صدق العبد وإخلاصه وبعده عن الفتن وخوفه منها، فيعصمه الله منها.

ولهذا جاء في صحيح مسلم عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**» والهرج أي: زمن الفتن واختلاط أمور الناس.

ومن هذا الباب ضُوعِف أجر دعاء السوق لكثرة انشغال الناس بأشغالهم وأسواقهم، وربما بالمعاصي والفتن، فمن ذكر الله في ذلك الموضع وأتى بذكر دخول السوق حصل على أجر عظيم، أعظم من أجر دعاء دخول المسجد، مع أن دخول المسجد أفضل وأشرف من دخول السوق بلا شك ولا ريب، لأن المساجد أحب البقاع إلى الله، والأسواق أبغض البقاع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ولكن بسبب غفلة الناس في الأسواق رُتب على دعاء دخول السوق ذلك الثواب العظيم.

فقد روى الترمذي عن عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: « **مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِه الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ الله لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ** » . والألف ألف: يساوي مليون.

فانظر إلى فضل الذكر والعبادة في زمان ومكان الفتن كيف يضاعف! فهذا حصل على ثلاثة ملايين فائدة من كتابة الحسنات وتكفير السيئات ورفع الدرجات وحصل ذلك في لحظات وفي موضع واحد حال كون الناس مشغولين بالفتن والأعمال الدنيوية.

ومن المخارج من الفتن يا عباد الله الدعاء .

فالدعاء سلاح المؤمن فرب دعوة تسري إلى السماء لا سيما آخر الليل فيدفع الله بها شرورا ما كان يتوقعها العبد، فإن الدعاء من أعظم العبادات لما روى أبو داود والترمذي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠].

فينبغي على المؤمن أن يلجأ إلى ربه بالدعاء والتضرع بين يديه خاصة وقت المدلهمات والفتن والمعضلات.

وقد حثنا الله في كتابه الكريم على الدعاء، وأرشدنا إلى بعض الأدعية.

منها: قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران:٨].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي: لا تملها عن الحق إلى الباطل. اهـ ولاتعرضها للفتن يا ربنا.

وأمرنا الله أن نتأسى بنبينا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن معه ، الذين كان من دعائهم : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الممتحنة:٥] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ : وَقَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَا تُعَذِّبْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَلَا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ عَلَى الْحَقِّ مَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ. اهـ.

وقال المفسر ابن كثير عن قتادة:أي: لَا تُظْهِرهم عَلَيْنَا فَيَفْتَتِنُوا بِذَلِكَ، يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا ظَهَرُوا عَلَيْنَا لِحَقٍّ هُمْ عَلَيْهِ.. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا تُسَلِّطْهُمْ عَلَيْنَا فَيَفْتِنُونَا. اهـ .

وأخبرنا الله في كتابه أن من دعاء قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يونس:٨٣-٨٦] .

ويقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ كما قيل في الآية التي قبلها.

وكان من دعاء النبي ﷺ : « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ، ويَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ** » .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: « **إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ** » .

وروى الترمذي عن أُمِّ سَلَمَةَ أُمَّ الْمُؤْمنينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قيل لها: مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِه: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** » ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: « **يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ** » . فَتَلاَ مُعَاذٌ ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً** ﴾.

فيا سبحان الله إذا كان هذا دعاء رسول الله ﷺ وهو المعصوم، ومع هذا يدعو الله أن يثبت قلبه فكيف بغيره؟ وكيف بنا؟ومع هذا الكثير منا يغفل عن هذا الدعاء العظيم .

فلا تبخل على نفسك يا عبد الله بالدعاء فإن أعجز الناس من عجز عن الدعاء، فادع الله بإخلاص وحضور قلب، واعمل بأسباب الإجابة وتجتنب موانع الإجابة، ولا تعجب بعملك فإن العجب من محبطات الأعمال ولا تأمن على نفسك من الفتن فإن قلبك ليس بيدك وسل الله الثبات وحسن الختام فقد كان السلف الصالح رحمهم الله يخافون على أنفسهم من سوء الخاتمة، وهم الصوَّام القوَّام، والعُبَّاد المجاهدون في سبيل الله .

وقد أمرنا النبي ﷺ أن نستعيذ بالله من الفتن دبر كل صلاة.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ » .

وفي صحيح مسلم عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا

ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

وعند الاختلاف يدعو العبد ربه أن يهديه إلى الحق فقد كان من دعاء النبي ﷺ في صلاته إذا قام من الليل: « اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فانظر يا عبد الله كيف توسل النبي ﷺ إلى الله بربوبيته لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الموكل بالوحي لحياة الأرواح، وبربوبيته لإسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ الموكل بالنفخ في الصور لحياة الأبدان، وبربوبيته لميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ الموكل بالقطر لحياة النبات، فتوسل بأمر عظيم على أمر عظيم، وهو أن يثبته الله على الحق عند الاختلاف وهؤلاء الملائكة هم أفضل الملائكة على الإطلاق.

واعلموا عباد الله أنه يجوز للعبد أن يتمنى الموت إذا خشي على نفسه الفتنة لخطر الفتن ولا يجوز له أن يتمنى الموت لضر آخر أصابه، فقد تمنت مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ الموت خشية الفتنة، وذلك حين حملت بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالت : ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم : ٢٣] ، وتمنى الإمام البخاري الموت لما خشي على نفسه الفتنة .

وجاء عند الإمام الترمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ،، قَالَ أَحْسَبُهُ فِي المَنَامِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الكَفَّارَاتِ، وَالكَفَّارَاتُ المُكْثُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ

الصَّلاَة، وَالمشْيُ عَلَى الأَقْدَام إِلَى الْجَمَاعَات، وَإِسْبَاغُ الوُضُوء فِي المكَارِه، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِه كَيَوْم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ» الحديث.

الشاهد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علم نبيه ﷺ أن يدعوه بأن يقبضه عند الفتن غير مفتون وهو دعاء له ولأمته فيشرع الدعاء بهذا الدعاء. «اللهم إن أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ» .

ومن المخارج من الفتن يا عباد الله: الرجوع إلى العلماء الربانيين الراسخين المتجردين للحق والدليل، البعيدين عن الهوى والتعصب والتحزب والبدع، فيكون الرجوع إلى العلماء الذين يربطون الناس بالدليل ولهذا قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣] .

ففي الآية قيد مهم وهو قوله: ﴿ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾ والذكر هو الكتاب والسُّنَّة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحجر:٩]، والكتاب والسُّنَّة كلاهما منزل من عند الله، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء:١١٣].

فالكتاب هو القرآن والحكمة هي السُّنَّة كما ذكر ذلك المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكلاهما وحي من السماء، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ [النجم : ٣ - ٤] .

فالعلماء الذين يرجع إليهم وقت المعضلات والفتن والمدلهمات، هم العلماء الذين اتصفوا بهذه الصفات، الذين يرجعون إلى الكتاب والسُّنَّة، ويرشدون الناس إليهما ويوجهونهم بمقتضاهما، فهم الذين يعرفون الفتن قبل مجيئها ،

بينما غيرهم لا يعرفون الفتنة إلا وهي مدبرة ومولية.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ [النساء:٨٣]. وأولو الأمر هنا هم العلماء .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ أي: أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. اهـ .

ولما فُتن قارون بملكه وماله غبطه بعض أصحاب الدنيا وتمنوا أن يكون لهم مثله ولم يتفطنوا أن هذا المال الذي أعطيه قارون فتنة يكون فيها هلاكه فزجرهم أهل العلم عن سؤالهم هذا لعلمهم أن هذا المال فتنة .كما بين الله في كتابه الكريم في قوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[القصص:٧٩-٨٢] ومعنى : ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾: قال بعض المفسرين أي: ألم تر، أو: ألم تعلم.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فإنه يجب على المسلم عند حدوث الفتن أن يبتعد عنها، وأن يجتنبها وألا يستشرف لها، ولا يخوض فيها مع الخائضين، فلا يشارك فيها بقوله ولا بفعله ولا ببدنه، بل ولا يرضاها .

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**» وفي رواية مسلم: « **وَالنَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ** » .

ففي هذا الحديث بيَّن النبي ﷺ أن خير هؤلاء المذكورين النائم والقاعدعنها، لأنهم أبعد الناس عن الفتنة ثم دل النبي ﷺ على ما هو خير من ذلك كله وهو الفرار منها والهروب عنها والتحصن منها بمكان بعيد عنها وهو قوله: « من وجد ملجأ أو معاذًافليعذ به » .

وقوله: « فَلْيَعُذْ بِهِ» : فعل أمر يدل على الوجوب أي: يجب عليه أن يتحصن به من الفتن.

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (القَاعِدُ فِيهَا) أي: القاعد في زمنها عنها (خَيْرٌ مِنَ

القَائِم) لأن القائم يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه القاعد فهو أقرب إلى الفتنةَ منه (وَالقَائِمُ فِيهَا) يعني القائم بمكانه في تلك الحالة (خَيْرٌ مِنَ المَاشِي) في أسبابها (وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي) إليها أي الذي يسعى ويعمل فيها. اهـ.

وكلٌ بحسبه ويلحقه من الإثم بحسب مشاركته وتعلقه بها ونيته فمن رضي بالفتنة أثم وإن كان في بيته.

فقد روى أبو داود عن العُرْس بن عَمِيرَةَ الكندي، عن النبيَّ -ﷺ- قال: «**إذا عُمِلَت الخطيئةُ في الأرض كان من شَهدها فكَرِهَها** -وقال مرة: فأنكرها- **كان كمن غابَ عنها، ومنِ غابَ عنها فَرضيها كان كمن شَهدها**» . أي: هم مشتركون في الإثم « **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» متفق عليه.

فالشاهد من هذا كله اجتناب الفتن بالقلب واللسان والجوارح وهذا هو عنوان السعادة.

فقد روى أبو داود عن المقداد بن الأسود، قال: أيمُ الله، لقد سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: « **إن السعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفتَنَ، إنَّ السعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنَ، إن السعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنَ، ولَمَن ابتُلِيَ فَصَبَرَ فواهاً** » . أي: واعجباه ، يتعجب النبي ﷺ ممن نجا من الفتن وصبر على البلاء وقليل ماهم.

قال بعض السلف : ليس العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا! . اهـ

فهذه هي النجاة.فإن النجاة كل النجاة هي البعد عن الفتن، فقد سئل النبي ﷺ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: « امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ » . رواه الترمذي عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فخير للعبد أن يغلق على نفسه بيته من الخوض في الفتن وإذا دخلت الفتنة

إلى بيته اعتزل بنفسه في رأس جبل يعبد الله حتى يلقى ربه يفر بدينه من الفتن فإن الموت خير من الفتنة.

فقد روى الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ» وقوله :مواقع القطر: أي المطر وشعف الجبال أي: رؤوس الجبال.

وروى الإمام أحمد عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: المَوْتُ، وَالمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ » الحديث .

ومن المخارج يا عباد الله ونختم به أن يقبل العبد على شأنه وعمله ومزرعته ومواشيه ويدَع الناس يخوضون في الفتن وينجو بنفسه.

فقد روى الإمام مسلم عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ، أَلَا فَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ فِيهَا، أَلَا وَالْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، أَلَا إِذَا نَزَلَتْ، فَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، أَلَا وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ، أَلَا وَمَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ » ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ الله، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ غَنَمٌ، وَلَا أَرْضٌ، وَلَا إِبِلٌ، كَيْفَ يَصْنَعُ؟ قَالَ: « لِيَأْخُذْ سَيْفَهُ، ثُمَّ لِيَعْمِدْ بِهِ إِلَى صَخْرَةٍ، ثُمَّ لِيَدُقَّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ »، إِذْ قَالَ رَجُلٌ: يَا نَبِيَّ الله، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُخِذَ بِيَدِي مُكْرَهًا حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ ، فَيَحْذِفُنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ فَيَقْتُلُنِي، مَاذَا يَكُونُ مِنْ شَأْنِي؟ قَالَ: « يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » .

وهذا إذا كانت الفتنة قتال بين طائفتين من المسلمين فيجب الابتعاد عن ذلك وعدم المشاركة فيها ولا الخوض فيها، وأشار النبي ﷺ إلى ذلك بكسر السلاح لئلا يقتل مسلمًا.

وروى مسلم عن عَامِرُ بْنُ سَعْد، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاص رَضِيَ الله عَنْهُ فِي إِبِله، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بالله مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِب، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنَزَلْتَ فِي إِبِلكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِه، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ » .

ومعنى الغني: أي عن هذا الذي يتقاتل عليه الناس، والخفي الذي أخفى نفسه عن الفتن وأهلها وانقطع عنها باشتغاله بالعبادة وأمور نفسه ومعيشته.

و إذا كثرت الفتن حتى اختلط الحابل بالنابل، فعلى العبد أن يأخذ ما يعرف أنه حق ، ويترك ما يعرف أنه باطل ، ويبتعد عن الشبهات ويترك الناس، ويقبل على شؤون نفسه.

فقد روى أبو داود وابن ماجه عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: « كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ، يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنْ النَّاس، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، فَاخْتَلَفُوا وَكَانُوا هَكَذَا؟ » وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابعه- قَالُوا: كَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ الله إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: « تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَوَامِّكُمْ» .

وقوله: « خَاصَّتِكُمْ» أي: شأنكم.

قال أبو الطيب آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى قوله:(يُغَرْبل النَّاس) : أَيْ يذْهب خِيَارهمْ وَيُبْقِي أَرَاذِلهمْ كَأَنَّهُ نَقَّى بِالْغِرْبَالِ ..اهـ

وقال الشيخ العباد: والغربلة: أنهم يفتنون فيتميز الصالحون من غيرهم وتبقى حثالة كالنخالة التي تكون في المنخل عندما يغربل فيه الحب أو الدقيق، فإنه يسقط الشيء الخالص، ويبقى الحثالة التي لا تدخل من ثقوب المنخل، فهؤلاء الذين يبقون هم مثل الحثالة التي تبقى في المنخل، والذين فيهم الخير يخرجون كما يتساقط الدقيق أو الحب من فتحات أو من خروق المنخل.اهـ

فهذا شأن الفتن أنه يتميز فيها الصادق من الكاذب وتغربل الناس فلا يصفو إلا من ثبته الله وعصمه بتمسكه بكتاب ربه وسنة نبيه ، كما قال تعالى:﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت : ١ - ٣] .

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ،ما ظهر منها وما بطن، اللهم جنبنا وبلادنا وبلاد المسلمين الفتن، ومن أراد بنا فتنة فاشغله في نفسه ،ورد كيده في نحره، اللهم إن أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، برحمتك يا أرحم الراحمين.